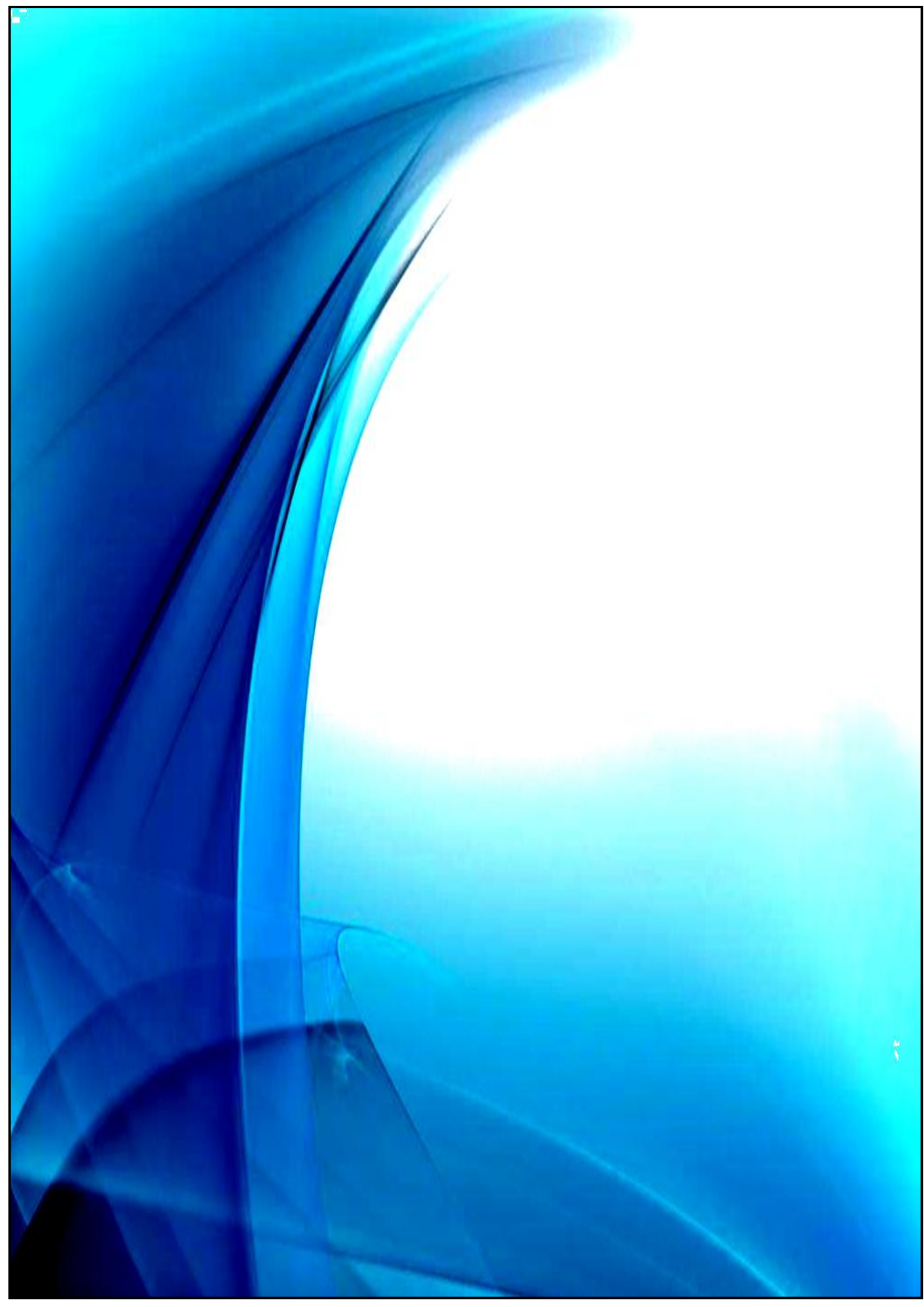

جامعة تيسمسيلت

المعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

في الآداب، الحقوق والعلوم السياسية، العلوم الاقتصادية
والعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد الثالث عشر العدد 02 ديسمبر 2022

EISSN 2602-6376 ISSN 2170-0931

مجلة المعيار
AL-MIEYAR Journal
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/317

المجلد: 13 العدد: 02 ديسمبر (2022)

المـــعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

جامعة تيسمسيلت – الجزائر–

شروط النشر وضوابطه

-المعيار مجلة علمية مصنفة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

– دورية تصدر مرتين في السنة عن جامعة بتيسمسيلت. الجزائر.

– تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.

–ضرورة وجود مختصر أو تمهيد للمقال سواء باللغة العربية أو الأجنبية.

– تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.

– تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.

– تتم الكتابة بخط (**Traditional Arabic**) حجم (**15**)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (**14**).

– تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة الفرنسية بخط (**Times new roman**) حجم (**12**)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم(**10**).

– تكون الهوامش والإحالات على طريقة أسلوب APA

– لا يقل حجم البحث عن **10** صفحات ولا تتجاوز **15** صفحة.

– المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن آراء وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسئول عن النشر

أ. د. عيساني امحمد.

المعيار

المجلد الثالث عشر العدد 2 ديسمبر 2022
مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات
مصنفة " C "
تصدر عن جامعة تيسمسيلت – الجزائر
توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
عن طريق البوابة الإلكترونية www.asjp.cerist.dz
جامعة تيسمسيلت. الجزائر.
البريد الإلكتروني: www.cuniv.tissemsilt.dz
EISSN 2602-6376 ISSN 2170-0931

رئيس المجلة:
أ. د. دهوم عبد المجيد

المدير المسؤول عن النشر:
أ.د. عيساني امحمد

رئيس التحرير:
أ.د. مرسي رشيد.

نواب رئيس التحرير:
أ.د. واضح أحمد الأمين، أ.د. علاق عبد القادر، أ.د. العيداني الياس، د. عطار خالد، د. قاسم قادة، د. دهقاني أيوب، د.بوسكرة عمر، د. لكحل فيصل.

سكرتيرا المجلة:

عرجان نورة، سلطاني محمد رضا

هيئة التحرير:

أ.د. غربي بكاي، أ.د. قاسم قادة، د. عطار خالد، د. صالح ربوح، أ.د. مصابيح محمد، د. بن رابح خير الدين، د. بوسيف إسماعيل، أ.د. بوراس محمد، أ. د. شريط عابد، د. محي الدين محمود عمر، أ.د. روشو خالد، أ.د. العيداني إلياس، أ.د. فايد محمد

الهيئة العلمية:

من جامعة تيسمسيلت: أ.د. بشير دردار، **أ.د.** بن فريحة الجلالي، أ.د. أحمد واضح أمين، أ.د. تواتي خالد، د. ربوح صالح، أ.د. غربي بكاي، أ.د. بوركبة ختة، أ.د. طعام شامخة، أ.د. شريف سعاد، أ.د. يعقوبي قدوية، أ.د. مرسلي مسعودة، أ.د. بن علي خلف الله، أ.د. رزايقية محمود، د. بوغاري فاطمة، د. قردان ميلود: ا.د. بوعرعاة محمد، أ.د. يونسي محمد، رزايقية محمود، د.فتوح محمود، د.عيسى حورية، د.بوصوار صورية، وسواس نجاة، أ. د. بوزيان أحمد، **من جامعة صفاقس، تونس:** أ. د. عبد الحميد عبد الواحد، د. بوبكر بن عبد الكريم، **من جامعة المنصورة، مصر:** د. محمد كمال سرحان، **من جامعة طرابلس، ليبيا:** د. أحمد رشراش، **من الجامعة الأردنية، الأردن:** أ. د صادق الحايك، **من جامعة الجزائر 03، الجزائر:** د. فتحي بلغول، **من جامعة لمين دباغين، سطيف:** أ. د بوطالبي بن جدو، **من جامعة وهران:** أ. د. مخطار حبار، **من جامعة سيدي بلعباس:** أ. د. محمد بلوحي، **من جامعة سعيدة:** د. عبد القادر رابحي، **من جامعة تلمسان:** أ. د. محمد عباس، أ. د. عبد الجليل مرتاض، **من جامعة تيزي وزو:** أ. د. مصطفى درواش، **من جامعة مستغانم:** د. منصور بن لكحل، **من جامعة زيان عاشور، الجلفة:** د. حربي سليم، د. علة مختار، عروي مختار، **من جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف:** أ. د حفصاوي بن يوسف، أ. د مويسي فريد، د. بوراس محمد، د. علاق عبد القادر، د. روشو خالد، أ.د. مرسي مشري، د. لعروسي أحمد، د. قزران مصطفى، د. مسيكة محمد الصغير، د. زرقين عبد القادر، د. محمودي قادة، د. العيداني إلياس، د. عيسى سماعيل، د. بوزكري الجيلالي، د. ضويفي حمزة، د. كروش نور الدين ، د. بوكريد عبد القادر، د. عادل رضوان. **من جامعة ابن خلدون تيارت:** أ. د. عليان بوزيان، أ. د. فتاك علي، أ. د. بو سماحة الشيخ، أ. د. بن داود إبراهيم، أ. د. شريط عابد. **UNIVERSITIE PAUL SABATIER TOULOUZE 03. FRANCE:** CRISTINE Mensson

كلمة العدد

يسر هيئة تحرير مجلة **المعيار** أن تقدم لكم المجلد الثالث عشر في عدده الثاني من سنة 2022م آملة أن تكون قد فتحت هذا الفضاء العلمي لكل الباحثين.

احتوى هذا العدد على أبحاث متنوعة، حيث خُصّص لكل ما يتعلق بالآداب والعلوم والإنسانية والاجتماعية، فتناول مواضيع في الفلسفة، التاريخ، وعلم النفس، بالإضافة إلى العديد من المقالات ذات الطابع الاقتصادي والقانوني، أما في الأدب فقد احتوى العدد على أبحاث حول النقد الأدبي وقضايا النثر، وفي علم الاجتماع تناول الباحثون قضايا تحوُّل القيم الاجتماعية وفكرة التواصل، ليختتم بأبحاث أخرى في النشاطات البدنية والرياضية.

تأمل هيئة التحرير أن تكون قد منحت للباحثين الفرصة المناسبة لتسيير حياتهم المهنية والعلمية.

المدير المسؤول عن النشر
أ.د. عيساني امحمد

كلمة في حق المرحوم الأستاذ:

مسيكة محمد الصغير

بمناسبة صدور هذا العدد من مجلة **المعيار** يطيب لنا أن ننوه بالمجهودات العلمية والعملية المقدمة من طرف الأستاذ المرحوم: **مسيكة محمد الصغير** وبتفانيه في خدمة العلم والمعرفة. تدرّج في مراتب التربية والتعليم من معلم إلى أستاذ التعليم المتوسط إلى مدير متوسطة، ثم انضم إلى سلك الأساتذة الجامعيين في أواخر 2013م، وكان عضوا محكّما في المجلة (مجلة المعيار) تخصص حقوق، فقد كان أستاذا بشوشا متواضعا خلوقا متعاونا مع الجميع يسعى في خدمة مصالح الناس والجميع يشهد له بذلك، نسأل المولى عز وجل أن يرحمه برحمته الواسعة، ويجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأن يوسع له فيه مُدّ بصره ويسكنه جوار النبيين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقا، ويلهم أهله وذويه الصبر الجميل. آمين

أ.د غربي بكاي

محتويات العدد

الرقم	الموضوع	الصفحة
01	– اتجاه التصحيح اللغوي عند القدماء سعـد روان جامعة الجزائر02 (الجزائر)/ أحمد حساني جامعة الجزائر 02 (الجزائر)	12–1
02	– التأويل والتأويل المضاعف تجاور أم تجاوز، بحث في خرائط القراءة عند كيليطو مجاهد سامية جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/ د. بوركبة بختة جامعة تيسمسيلت(الجزائر)	23–13
03	– التجريب في الرّواية الجزائرية المعاصرة ـ النشأة والتأصيل حراث ايمان جامعة باتنة/ سعادنة جمال جامعة باتنة	31–24
04	– التلقي النقدي لبحث السرقات الشعرية عند ابن رشيق القيرواني في كتابه 'قراضة الذهب' د. شهيرة برباري جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)/ د. سعاد طويل جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)	45–32
05	الرواية التاريخية في النقد الجزائري المعاصر ـ التاريخ والرواية فضاء الرشح وغواية الإنشاء لبشير بويجرة أنموذجاً ـ بوزيان محفوظ جامعة تيسمسيلت(الجزائر)/ د. طعام شامخة جامعة تيسمسيلت(الجزائر)	53–46
06	الصور السينمائية وجمالياتها في الفيلم الصامت (الأفلام الأولى، الرواد الأوائل) عبدو نادية جامعة الجلفة (الجزائر)/ زيتوني عبدالرزاق جامعة الجلفة (الجزائر)	64–54
07	المستوى التعبيري اللغوي في السرد العربي –رواية (ميرامار) لنجيب محفوظ أنموذجا– مختارية بن عابد جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم (الجزائر)	77–65
08	المصطلحات الصّوتية الفيزيائية بين الدراسات الحديثة والدراسات القديمة ط د. لنقار ياسين جامعة تيسمسيلت(الجزائر)/ أ.د. بن فريحة الجيلالي جامعة تيسمسيلت(الجزائر)	89–78
09	المصطلحات اللسانية ومشروع الذخيرة اللغوية العربية من منظور "عبد الرحمن الحاج صالح" د. تاحي بختة جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف–الجزائر.	98–90
10	المقاربة النقدية للقصّة القصيرة جدّا عند أحمد جاسم الحسين وحسين المناصرة قراءة في نقد النقد فتيحة مجمم جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1–الجزائر/ أ.د وافية بن مسعود جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1(الجزائر)	114–99
11	الهوية وتجليات الانتماء في الشعر المغاربي الحديث محمد كوشنان مخبر الدراسات المعجمية والمصطلحية جامعة المدية (الجزائر)	131–115
12	بحث الأزمة في ترجمة المصطلح المستجد كورونا (كوفيد–19) عايدي فاطنة جامعة عمار ثليجي–الاغواط– الجزائر/ بن يوسف شتيح جامعة عمار ثليجي–الأغواط– الجزائر	142–132
13	بنية الشخصية وأبعادها الدلالية في رواية –"الزنزانة رقم 06" التفاعلية للكاتب "حمزة قريرة" نوال قرين جامعة قاصدي مرباح –ورقلة– الجزائر	156–143
14	تقسيمات الجملة العربية بين التراث والمعاصرة صفية سلطان جامعة حمه لخضر –الوادي (الجزائر)/ عباس عبد الرؤوف جامعة حمه لخضر –الوادي (الجزائر)	171–157
15	خطاب "الما بعد" والمركزيات الجديدة في النقد الجزائري المعاصر ط.د. بلحاج كريمة جامعة تيسمسيلت(الجزائر) /د.رندي محمد المركز الجامعي آفلو (الجزائر)	184–172
16	فاعلية اليوتوب" youtube " في تعليم اللّغة العربية معزوز خيرة جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	193–185
17	فعل القراءة عند حبيب مونسي من خلال كتابه نظريات القراءة في النقد المعاصر حنه أحمد جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/ قردان الميلود جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	205–194
18	مصطلح البديع ودلالته عند علماء القرن الرابع الهجري مقاربة بين الباقلاني والرماني د. فتوح محمود جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/ د. بن سعيد بشير جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	214–206

19	مقاربة أسلوبية في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا د. دعنون آسية جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	222–215
20	Chanson sportive algérienne : création artistique et linguistique contemporaines TAAM Amina Université Abdelhamid IBN BADIS, Mostaganem/ BENRAMDANEFarid Université M'Hamed BOUGARA, Boumerdes	233–223
21	La compréhension des sigles de la presse algérienne spécialisée dans les TIC : Cas des étudiants du département de l'informatique MENDJOUR Hanane Université Ibn Badis -Mostaganem (Algérie/ BENRAMDANE FARID Université M'hamed Bougara Boumerdès (Algérie)	243–234
22	AlgerianApproachesto IrregularWars A. Kheireddine BOUHEDDA University of Medea(Algeria)/ B. Abdelbassat KALAFAT University Djilali Bounaama Khemis Miliana	253–244
23	Security threats to the phenomenon of illegal migration in the Sahel region of Africa- Study on the international dimension – Ait Ahmed Lamara MohamedPhD student, University of Sousse(Tunis) / Houria Boubekeur Doctor and researcher inAfrican Studies Tissemsilt University(Algeria)	265–254
24	الإطار القانوني والتنظيمي للوساطة في الجزائر العقون رفيق جامعة تيسمسيلت(الجزائر)	275–266
25	المشاركة السياسية في الانتخابات التشريعية جوان 2021 بالجزائر: دراسة مسحية في أسباب تراجع نسبة التصويت معيزي ليندة جامعة تيسمسيلت(الجزائر)/د.دهقاني أيوب جامعة تيسمسيلت(الجزائر)	287–276
26	المعضلة الجيوسياسية في الشرق الأوسط: قراءة في حسابات الربح والخسارة للسياسة الأمنية الإسرائيلية تجاه الأزمة السورية د. رحموني عبد الرحيم جامعة تلمسان(الجزائر)	298–288
27	النظام القانوني للفضاء الخارجي شكيرن ديلمي جامعة خميس مليانة (الجزائر)	308–299
28	النظرية المؤسسية التاريخية كأداة تفسير لظاهرة الانتقال الديمقراطي في الدول المغاربية (الجزائر، تونس، والمغرب ضمن إطار مقارن) آيت نوري رياض جامعة قسنطينة 3 (الجزائر)/ لطاد ليندة جامعة الجزائر 3 (الجزائر)	327–309
29	أهمية أنابيب نقل الطاقة في تحقيق السلام والتكامل الاقليمي ط.د. سحنون نور الايمان جامعة الجزائر 03	341–328
30	تبعات تحول الجزائر إلى دولة استقرار للمهاجرين الأفارقة ط.د. منصوري نوال جامعة الجزائر3/ د. حقاني حليمة جامعة الجزائر3	353–342
31	تقنيات الهندسة الوراثية في ميزان الشريعة والقانون..التلقيح الصناعي نموذجا لعطب بختة جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	363–354
32	توظيف عقد الاعتماد الإيجاري كآلية لحل إشكالية تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر بن شنوف فيروز جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	379–364
33	حماية حق المؤلف في المكتبة الرقمية د. مناصرية حنان جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	390–380
34	مشكلات إعادة بناء الدولة العربية ما بعد الثورات الشعبية في البلدان العربية 2010–2020–حالة ليبيا– ط.د. إبراهيم الخليل كربال جامعة "امحمد بوقرة" بومرداس (الجزائر)	404–391
35	واقع الحوكمة المحلية في الجزائر بين التحديات والمتطلبات بومحكاك خدوجة جامعة سطيف2 (الجزائر)/ لبيد عماد جامعة سطيف2 (الجزائر)	416–405
36	الدور الاستشاري للمحكمة الدستورية في الجزائر معلق سعيد جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/ العقون رفيق جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	426–417

37	أثر خصائص مجلس الادارة على الأداء المالي للشركات العمومية – دراسة حالة– بلحاج بن زيان جميلة جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/ بوكرديد عبد القادر جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	444–427
38	أثر صادرات الجزائر نحو إفريقيا على النمو الاقتصادي في الجزائر براهيمي عبد القادر جامعة أحمد درايعية أدرار (الجزائر)/ بـــلال بوجمعـة جامعة أحمد درايعية أدرار (الجزائر)	458–445
39	السياسات الاجتماعية والنمو الاقتصادي –دراسة قياسية باستعمال نموذج ARDL– العوفي حكيمة جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر(الجزائر)	470–459
40	العلاقة بين الاستثمار الأجنبي المباشر والتنويع الاقتصادي بالجزائر: –دراسة قياسة للفترة (1995–2020)– العربي مليكة جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت–الجزائر–/بن الدين نور الهدى جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس–الجزائر–/ ملياني ياسين جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت–الجزائر–	481–471
41	تأثير الصدمات النفطية على الإيرادات العامة في الجزائر–دراسة تحليلية اقتصادية خلال الفترة (1970–2020)– ماجن محمد محفوظ جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر)/ خليل عبد القادر جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر)	495 –482
42	تطور الاقتصاد الرقمي للعالم العربي في ظل جائحة كورونا بن فريحة نجاة جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)/ نصاح سليمان جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	510–496
43	Protection of consumer will in the electronic consumption contract A comparative study between Algeria and France and England legislations Moulay asma University of Algiers 01(Algeria)/ Moulay Zakaria University of Algiers01(Algeria)/ ANAN Ammar University of Algiers01, (Algeria)	524–511
44	دراسة تحليلية لواقع تمويل الاستثمارات الخضراء عن طريق الصكوك الإسلامية – عرض بعض التجارب الدولية – نور الدين طواهرية جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/ عبد الحق القينعي جامعة البليدة 2 (الجزائر)	538–525
45	دور العولمة الثقافية في التأثير على سلوك المستهلك من خلال وسائل الإعلام والاتصال البرامج التلفزيونية أنموذجا– الحاج سالمي جامعة تيسمسيلت(الجزائر)/ سوداني نادية جامعة تيسمسيلت(الجزائر)	556–539
46	واقع المزيج التسويقي الموسع على فنادق ولاية تيسمسيلت فندق ملاس نموذجا معموري حليمة عزيزة جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/د.دحماني علي جامعة حسيبة بن بوعلي شلف(الجزائر)	573–557
47	واقع وسائل الدفع الالكترونية المستحدثة في إطار التكنولوجيا المالية د. فوزي إينال جامعة الجزائر–3– (الجزائر)	589–574
48	أثر برنامج تدريبي مقترح بتمارين البليومتري على القوة الانفجارية لمصارعي الكونغ فو(18–20) سنة عبورة رابح جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/سي العربي شارف جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/واضح أحمد الأمين جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	602–590
49	أثر برنامج تعليمي مقترح باستخدام التدريب الذهني في تعلم بعض المهارات الأساسية في كرة الطائرة زواوشة عبد القادر جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/بومعزة محمد لمين جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	619–603
50	اقتراحات لتعزيز مناعة الرياضيين في ظل جائحة كوفيد 19 سامر محمد عبد الوارث جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/ واضح أحمد الأمين جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	633–620
51	انعكاسات التغير الثقافي على تكوين الاتجاه نحو ممارسة النشاط الرياضي داخل المؤسسات التربوية – مرحلة التعليم الثانوي– كحلي أحمد جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/ ربوح صالح جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	647–634
52	برنامج ترويحي مقترح باستخدام ألعاب القوى للأطفال لتنمية بعض المهارات الحركية الأساسية لفئة السنة الثانية ابتدائي عبدالرحمان مراد جامعة تيسمسيلت (الجزائر)/ڤرڤور محمد جامعة تيسمسيلت (الجزائر)	662–648
53	تأثير برنامج مقترح للتصور العقلي في تحسين بعض مهارات السباحة السباحين 12–14 سنة حمزة صديق جامعة تسمسيلت/ عرابي سعاد جامعة الجزائر 03	673–663
54	تقييم حمولة التدريب باستعمال مقياس إدراك الجهد الذاتي sRPE وعلاقتها بحدوث الإصابات الرياضية لدى لاعبي كرة القدم أكابر حاج أحمد مراد جامعة البويرة (الجزائر)/بولحارس نجيب جامعة البويرة (الجزائر)/ قطيش محمود عبد الرحيم جامعة البويرة (الجزائر)	688–674
55	علاقة الكفاءة التدريسية لأستاذ التربية البدنية بالسلوك التوافقي لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط سحوان أحمد جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)/يحياوي محمد جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)	699–689

56	Kinship relationships under the crisis of Covid-19; field study in HammamSokhna _Setif- Amal Saghir Univ_batna/ Ben Sahel Lakhder Univ_batna	711–700
57	إشكالية التثاقف الرقمي وتعزيز الوعي الاجتماعي في تفعيل الصورة السياحية ط/د كنزة خيمش جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)/ د/ ملياني نادية جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)	727–712
58	التأويلية البديل المنهجي لقراءة النص الديني عند محمد أركون أ.بوسكرة علي جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 (الجزائر)	742–728
59	التنشئة الأسرية للأمهات وعلاقتها بممارسة العنف ضد الأبناء دراسة ميدانية لعينة من الامهات بولاية تيزي وزو ربيعة رميشي جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)	760–743
60	الجذور التاريخية للمشكلات الاجتماعية في الجزائر 1830–1980 بن عودة محمد جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)	771–761
61	الدراسات الكمية والكيفية في ميدان علوم الاعلام والاتصال دراسة في المفهوم والاشكاليات كيحول طالب جامعة الجيلالي بوعمامة خميس مليانة–الجزائر– / دحماني سمير جامعة الجيلالي بوعمامة خميس مليانة–الجزائر–	778–772
62	الدَّعوةُ إلى إعادةِ النظر في تفسير القرآن الكريم، سؤال المشروعية والمنهج فضيلة بنت محفوظ جوهري جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة (الجزائر)	794–779
63	الدمج المدرسي للطفل التوحدي من وجهة نظر أساتذة التعليم الابتدائي ط.د/ فطيمة مغلاوي جامعة قسنطينة 2 – الجزائر–	808–795
64	الشعور بالأمن النفسي وعلاقته بالدافعية للإنجاز لدى المراهق المتمدرس من وجهة نظر علم النفس وبعض الأدبيات والدراسات السابقة ط: طيبي عبد القادر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة أبو قاسم سعد الله –الجزائر–/ الأستاذ الدكتور بحري نبيل كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة أبو قاسم سعد الله –الجزائر–	819–809
65	الصّدفة، الضّجيج واللّانظام كمفاهيم أساسية في فلسفة ميشال سير د. تبان مصطفى جامعة قسنطينة 02 (الجزائر)	830–820
66	العولمة والمرض النفسي من وجهة نظر الطلبة (دراسة ميدانية بجامعة الشلف) سيدي عابد عبد القادر جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف(الجزائر)	846–831
67	العولمة وأخلاقيات التفكير الرقمي د. ياسين مشتة المدرسة العليا للأساتذة– بوزريعة(الجزائر)	855–847
68	المنهج التجريبي في علم الاجتماع بين أوغست كونت وإميل دوركايم موسى قروني جامعة الجيلالي بونعامة/ خميس مليانة (الجزائر)/ مفتاح بن اعمر جامعة الجيلالي بونعامة/ خميس مليانة (الجزائر)	867–856
69	أنماط السلوكيات المنحرفة لدى المراهقين مستخدمي شبكة التواصل الاجتماعي فيسبوك بوزار يوسف جامعة خميس مليانة (الجزائر)/ بوكريطة فاروق جامعة خميس مليانة (الجزائر)	876–868
70	تاريخ الأقليات في الدولة العثمانية – الأقلية اليهودية أنموذجا – أمينة حمودي جامعة الجزائر 2 (الجزائر)	887–877
71	تصميم اختبار تشخيص صعوبة تعلم الرياضيات دراسة تقنينية على عينة من تلاميذ الطور الثاني من المرحلة الابتدائية بهلول حليمة جامعة سطيف2 (الجزائر)/ أ.د تيغليت صلاح الدين جامعة سطيف2 (الجزائر)	902–888
72	تعليمية الفلسفة والدراسات البينية فاطمة صياد جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف(الجزائر)	911–903
73	ثنائية الحقيقة والمنهج في فلسفة "هانز جورج غادامير" د. آسيـا واعـر جامعة باجي مختار عنابة – الجزائر–	922–912
74	جودة الحياة المدرسية في المدرسة الابتدائية: من وجهة نظر المعلمين أحمد خان جامعة "محمد بن أحمد" وهران 2 (الجزائر)/ بدرة معتصم ميموني جامعة "محمد بن أحمد" وهران 2 (الجزائر)	938–923

75	حضور الجبل ورمزيته في تاريخ الفلسفة حاج بن دحمان جامعة غليزان (الجزائر)	950–939
76	دراسة تاريخية لكلمة الترحيب المُلقاة من طرف " فاطمة بكّارة " بمناسبة افتتاح مدرسة الإرشاد والتعليم بمنطقة سبدو –تلمسان 1953م– د. عمر جمال الدين دحماني جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس (الجزائر)	963–951
77	دور الإعلام العربي في تشكيل ثقافة الطفل د. لعوبي يونس جامعة جيجل /ط.د: بوطبيشة نصيحة جامعة جيجل	973–964
78	رمزية أسلوب التعبير النصي في الفضاء العمومي الافتراضي في الجزائر دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من خطاب صفحات فيسبوك رباب بن عياش كلية علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر 3	985–974
79	طبيعة الخبرة الفنية بين محاكاة أفلاطون وهرمينوطيقا غادامير ط.د. عبايد نورية جامعة ابن خلدون تيارت–الجزائر–	996–986
80	مدينة قسنطينة في الفترة القديمة بين تاريخها العريق ونقص الإثباتات الأثرية د. بوذراع سفيان جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)/ سلامي توفيق جامعة قسنطينة 2(الجزائر)	1008–997
81	مدينة هيبوريجيوس من التأسيس الى الفتح العربي الإسلامي عمار نوارة جامعة الجزائر 2(الجزائر)/ سنية صامت جامعة باجي مختار عنابة(الجزائر)	1022–1009
82	مستوى التحصيل الدراسي لدى طلبة ليسانس كلية العلوم الاجتماعية جامعة ابن خلدون– تيارت– المتزامنة مع جائحة كوفيد–19 ط.د / شعيب فتيحة جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)/ شعشوع عبد القادر جامعة ابن خلدون (الجزائر)	1040–1023
83	نحو رؤية معاصرة لدور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في التقليل من السلوك الانحرافي لدى المراهق المتمدرس د. خريبش زهير جامعة تيارت (الجزائر)/ د. بوسكرة عمر جامعة المسيلة (الجزائر)	1052–1041
84	وسائل الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فترة ما بين1931–1954 شهباني سماعين المركز الجامعي مغنية (الجزائر)	1061–1053
85	علم اجتماع المخاطر نحو مقاربة سوسيودينية –فلسفية مرباح مليكة جامعة ابن خلدون.(الجزائر)	1075–1062
86	التغير الاجتماعي وتأثيره على الخصائص البنائية الوظيفية للأسرة الريفية د. عبد السلام سليمة جامعة محمد بوضياف–المسيلة (الجزائر)	1094–1076

مجلة المعيار
AL-MIEYAR Journal
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/317

المجلد: 13 العدد: 02 ديسمبر (2022) ص: 794/779

الدَّعوةُ إلى إعادةِ النظر في تفسير القرآن الكريم، سؤال المشروعية والمنهج

Reinterpretation of the Noble Qur'an; Question of legality and method

فضيلة بنت محفوظ جوهري*

كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1

بن يوسف بن خدة الجزائر

Hambli031967@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2021/08/20

الكلمات المفتاحية:

- ✓ القرآن الكريم
- ✓ إعادة التفسير
- ✓ القراءات الحداثية

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على فكرة إعادة تفسير القرآن الكريم التي يتبناها دعاة القراءات الحداثية، معتمدين على طبيعة النص المرنة وقابليته للتفسير باستمرار، مع عرض هذه الفكرة على المدونة التفسيرية الأولى للنظر في جدوى هذا المطلب ومشروعيته.

وقد وجد البحث أن المطلب مشروع ومتحقق منذ بواكير الممارسة التفسيرية، لكن العبرة بالمنهج؛ فالانفتاح الذي ينشده دعاة إعادة التفسير يعتدي على قداسة القرآن الكريم، لأنه يعامله بمناهج تم رصدها أولا للتعامل مع نصوص بشرية، كما أنه يهدر الجهود السابقة ولا يبني عليها، وفوق ذلك كله فإنه لا يفرق بين ما يمكن تجديده من التفسير وما لا يصح التغيير فيه.

Article info

Received : 20/08/2021

Keywords:

- ✓ the Noble Qur'an
- ✓ reinterpretation
- ✓ ModernistReadings

Abstract :

This research aims to focus on (Reinterpreting the Noble Qur'an) an idea adopted modernist readings, relying on the flexible nature of the text, while presenting this idea to the first interpretative blog to consider the feasibility and legitimacy of this requirement. The research has found that the requirement is legitimate and fulfilled early, but the cornerstone is the approach; The openness that advocates of reinterpretation seeks is an attack on the sanctity of the Holy Qur'an, because it treats it with methods that were first monitored to deal with human texts, and it wastes previous efforts and does not build on them, and above all, it does not differentiate between what can be renewed from interpretation and what is not correct to change.

* المؤلف المرسل

. مقدمة:

أنعم الله تعالى على خلقه بنعمة القرآن، وزاد من فضله عليهم فعلمهم البيان، ومنحهم من أجل الانتفاع بذلك العقل والقلب واللسان، وحثّهم على تدبُّر كتابه والتّفكّر الدائم فيه فقال جل شأنه: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (**سورة ص، الآية 29**)، ولهذا فليس لأحد أن يُنكر مشروعية الحاجة إلى التفسير وإعادة التفسير، وقصارى الأمر أن يكون مضبوطا ومؤطَّرا بمنهج يضمن له الوفاء بالمعنى من غير إخلال أو إهمال، فلماذا التخوف من إعادة التفسير؟ ولماذا الحاجة إليه؟ ثم ما هي طبيعته وطبيعة الآليات المعدّة له؟

هذه هي أسئلة هذا البحث، والإجابة عنها ستكون بالنظر في فكرة إعادة التفسير وتجلياتها من خلال القراءات التي سميت حداثية، والتي توسلت بمناهج وأساليب ومقاربات غربية حاولت تقريبها من النص القرآني بغية الكشف عن مساحات جديدة فيه، فلقي أصحابها غالبا الإنكار والرفض، وقبل ذلك بالنظر في منظومة التفسير الأولى وإلقاء الضوء على تجلياتها المنهجية والإجرائية.

ولا يدعي هذا البحث فضل السبق في معالجة الفكرة ولكنه يرجو أن يكون لبنة في الصرح؛ فقد تم التعريج على فكرة إعادة التفسير والإشارة إليها على طول تاريخ التفسير وإن كان ذلك بمسميات مغايرة مثل:

- (إعادة قراءة القرآن) للمستشرق الفرنسي جاك بيرك، ترجمة الدكتور منذر عياشي، دراسة مختلفة المنطلقات والأهداف.
- (بدعة إعادة فهم النص) للدكتور محمد صالح المنجد، نشر مجموعة زاد، السعودية، 2010، وهو كتاب رد على دعاة القراءات الحداثية، وفيه شحنة عاطفية وتأصيل جيد.

كما انعقدت الملتقيات والندوات للنظر في الدعوات الحديثة والمعاصرة لإعادة النظر في تفسير القرآن الكريم، محاولةً لتفسير "النوايا" مرة وتحليل الأفعال مرة أخرى. ومن هنا جاءت هذه الورقة محاولة لمزيد التمحيص والتأصيل لهذه الفكرة وسعيا للنظر في بعض منطلقاتها وأهدافها وفق خطة أساسية تتكون من ثلاثة مباحث متكاملة: مشروعية التفسير، أسباب الخوف من إعادة التفسير، وسؤال المنهج.

2.التفسير حياة النص:

1.2 الحاجة إلى التفسير:

النص بنية دلالية معقدة، تحتوي في طياتها إحالات متعددة، تقوم في جملتها على رؤية للعالم، وعلى تفسير للوجود، هذا التفسير الذي يمارسه النص على الوجود يتخذُ من اللغة وسيلةً له، لكنه كثيرا ما يخالف تقاليد هذه اللغة فيوظفها بأساليب فنية وتقنيات مشفرة، ويتوسل بالرموز والكنايات، إنه يصنع لغته فيجعل من الوصول إلى معناه عمليةتحتاج إلى جهد وعدة، وهو بذلك يقدم نفسه للقراءة والتفسير.

إن الإنسان بحاجة إلى المعنى الكامن في النص، لأن فيه تفسير ذاته ومحيطه، وبالمقابل فإن النص أيضا بحاجة إلى من يفك رموزه ويفرج عن المعنى الحبيس في داخله، لأن في ذلك حياته؛ التفسير إذن هو الذي يمنح النص الوجود.

لقد شهد التعامل مع النص تحولات جوهرية وعميقة حطت به في محطات كثيرة وهامة، وإذا اعتبرنا المعنى هو نقطة التقاطع بين المكونات الثلاثة لأي خطاب تواصلي مرسل وهي: **المؤلف** (**المرسل**) **والنص** (الرسالة) **والقارئ** (المرسل إليه)، فإنه بالإمكان الوقوف عند ثلاث من المحطات المذكورة-لعلهاهي الأهم- إذ تمثل كلٌ واحدة من مكونات الخطاب الثلاث محورا لها. أولها **محطة المؤلف**: حيث التنقيب في حياة، وملابسات إنتاجه للنص، بل حتى طبيعته الشخصية والنفسية منطلق البحث الأثير، فهي الوسيلة التي يوظفها القارئ لملء فراغات النص وإضاءة النقاط المظلمة فيه، عملاً بالمقولة المأثورة عن القدماء (المعنى في بطن الشاعر!!).(**الجاحظ، 1423هـ، صفحة 114 ج1**)

ولكن ما كاد القرن العشرون يتخطى بوابة الزمن، حتى ثار الأدباء والنقاد على هذا الأسلوب، ورأوا أن الاهتمام الموجه إلى المؤلف يهضم حق النص ويقلل من شأنه، بل ويشكك في قدرته على التعبير عن نفسه، فبات من الضروري البحث عن أسلوب آخر؛ هنا ولدت **البنيوية**، الاتجاه الذي أعلى من سلطة النص، حيث البداية منه، باعتباره نسقا أو مجموعة من البُنى والتراكيب التي تحمل دلالتها في ذاتها وليس على القارئ / المفسر إلا أن يكتشفها، دون أن يكون له الحق في أن "يتدخل" في شأن النص(**ثامر، 1988، صفحة 89 وما بعدها**).

ولكن مثل هذا التصور أثار حفيظة المشتغلين بالنصوص مرة أخرى، لأنهم رأوه يحول القارئ إلى مجرد آلة يعطيها النص أوامره فتنفذها.من هنا كان ترجيح الكفة إلى جهة القارئ رد فعل مشروع ومنتظر، وهو الذي حدث فعلا، فظهرت اتجاهات **ما بعد البنيوية**، وتأتي على رأسها **التفكيكية**، التي نادى أصحابها بإعادة الاعتبار للقارئ، حتى رأوا ألا قيمة للنص من دونه، فأطلقوا بذلك العنان لتعدد التأويلات، بل ساروا بها إلى ما لا نهاية، فدلالة النص أصبحت متعددة بتعدد القراء، إذ لكل قارئ الحق في أنيمنح النص المعنى الذي يراه. (**إبراهيم، الغانمي، و علي ، 1996، صفحة 113 وما بعدها**)

إن مثل هذا التحول والانتقال في أسلوب البحث عن المعنى دليل واضح على القيمة المركزية التي يحتلها، ودليل أيضا على وعي الدارسين بأن حياة النص في الإفراج عن معناه. لكن ما ينبغي الإشارة إليه هو أن الاختلاف في زاوية النظر إلى طريقة الوصول إلى المعنى صاحَبَه اتفاق على أن التفسير وحده هو الذي يخلق الصلة بينه وبين قارئه.

2.2 تفسير القرآن الكريم، عوامل المشروعية:

لقد ارتبط التفسير منذ وجد بالنصوص ذات النفع والقيمة والحضور في الثقافة، فارتبط بنصوص القانون والنصوص الدينية بشكل خاص، أما النصوص القانونية فشاهدها المذكرات التفسيرية الملحقة بها، فقد عكف رجال القانون على وضع متونهم القانونية، غير أنهم سرعان ما وجدوها عاجزة أمام اختلاف الرؤى والأنظار، بل ربما كان القانون الواحد عرضةً لفهمه بعشرات الفهوم المختلفة، والخروج من خلاله بعشرات الرؤى المتضاربة أحيانا، ولعلاج هذه المشكلة بادر رجال القانون بإصدار شروح وتفسيرات لهذه القوانين، واشتهرت المذكرات التفسيرية بينهم بما لا يكاد يجهله إلا القليل من غير القانونين فضلا عنهم.(**العبيدي، 2019، صفحة 232**)

والأمر نفسه فيما تعلق بالنصوص الدينية، فقد عرفت التوراة والإنجيل في أوروبا، إبان العصور الوسطى محاولات عديدة عملت على استجلائها والسعي بها عبر الشرح والتفسير لمواكبة الزمن، وكانت الدراسات اللاهوتية الغربية على وعي بالحاجة إلى بلورة السبل والمناهج التي تشتغل على النصوص المقدسة، وغير بعيد عن مسامعنا ما حدث في أوروبا من حروب عندما أريد معاملة النصوص المقدسة بمنطق النقد البشري، وهي مسألة يتجاوزها هذا البحث وتتجاوزه، لأن ما يعنينا من النصوص الدينية في هذا المقام هو النص القرآني، باعتباره النص الإلهي الوحيد المنقول نقلا يقينيا، رغم ما يثار هنا وهناك من «سعي حثيث للبحث عن الأصول البشرية للنص القرآني من فتات الأخبار ومتناثر الأحجار»(**رشواني، 2005**).

لقد حظي النص القرآني بنصيب من التفسير لم يحظ به نص قبله ولا بعده حتى الآن، فكُتُبُ التفسير التي وضعت حوله تعد بالآلاف من غير مبالغة، مع اختلاف في الجانب المهتم به، الفقهي واللغوي والبلاغي، والعلمي... إلى غير ذلك مما يضيق هذا الفضاء بسعته. ليس هذا وحسب بل أنشئت حوله ولأجله مجموعة من العلوم يختص كل منها بقضية من قضايا معناه سمي مجموعها "علوم القرآن"، منها علوم أسباب النزول وعلوم النسخ التي تتناول الجانب الزمني لمتنه ونزوله، أما لغته فتتناولها علوم المعاني والغريب والإعراب والمشكل والمجاز والإعجاز وغيرها، والحيز المكاني يدرسه المكي والمدني والحضري والسفري وما إلى ذلك من علومه التي ألفت فيها المصنفات ذوات العدد ثم جمع جلها وأحصاها – أو كاد – الإمام السيوطي (**ت: 911 هـ**)، في كتابه الشهير في هذا الباب"الإتقان في علوم

القرآن"، ومع ذلك نجد القرآن مازال يفسر، بل لا يكف الدارسون عن الدعوة والإعراب عن الحاجة المتواصلة إلى إعادة تفسيره، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه قطب الرحى في حضارة أهله، ومثل هذا الحضور الطاغي له هو الذي حدا بأحد الباحثين إلى تسمية الحضارة الإسلامية بـــ: «حضارة النص»(**أبو زيد، 2000، صفحة 9**).

لقد استقطب النص القرآني منذ نزوله كل اهتمام العرب وعنايتهم، فأظهروا رغبة شديدة في فهم معانيه، لأنه أدهشهم «لما سمعوه، وحير ألبابهم وعقولهم بسحر بيانه، وروعة معانيه، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه»(**الباقلاني، 1991، صفحة 2**)، ومن جهة أخرى فإن «العادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم»(**ابن تيمية، دون تاريخ، صفحة 42**).

هذا ولقد كانت وظيفة الشرح والإفهام أول الأمر مقصورة على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، عملا بقول الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(سورةالنحل: **44**)، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوضح المبهم ويفصل المجمل، لذلك ظل التفسير في البداية متصلا بالحديث النبوي حتى دُوِّن فيما بعد بابًا من أبوابه.

لكن سرعان ما انفصل التفسير عن الحديث ليستقل علما قائما بذاته، ومثل هذا الانفصال لم يكن مسألة شكلية، إنه شاهد على تحول في طبيعة العلاقة مع النص القرآني، فقد أحس المسلمون بعد فترة وجيزة أنهم بحاجة إلى بيان معاني القرآن، هذه الحاجة التي لم يحسوا بها من قبل أن تتعقد حياتهم وتتشابك تضاريسها بشكل لا عهد للبيئة العربية البسيطة به، وكان وراء هذا الإحساس وعي بأنه بات من الضروري أن يستقل النص القرآني بالإجابة عن أسئلة المجتمع ومشاغل الناس، الأسئلة والمشاغل التي ظل يثيرها الاختلاط بالشعوب الأعجمية، والانفتاح على الثقافات الأخرى، خاصة بعد نشاط حركة الترجمة والاطلاع على فكر الآخر وحضارته..

ومن ثم أمكن القول إن ظهور تفسير مفصلللقرآن قد غدا مطلبا مشروعا يستمد مشروعيته من عوامل ثلاثة:**أولها**: حركة المجتمع الدائبة وتغير طبيعة الحياة كلما تقدم الزمن، هذه الحركة التي تفرز دائما المزيد من المشكلات والمزيد من القضايا التي تبحث عن حلول وأجوبة، لا يمكن أن يظفر بها المسلم خارج النص القرآني.**وثانيها** : طبيعة الإنسان نفسه، الطبيعة التاريخية المتغيرة، الطبيعة المتضاربة المستشرفة للآتي، طبيعة تجعل من الإنسان "كائنا معرفيا"، ومتسائلا نهما متعطشا للفهم، لا يمكن أن يرضي نهمه هذا غير الأفق القرآني اللامحدود.أما **ثالثها** ولعله الأهم:فهو طبيعة القرآن المرنة، وقابليته للبيان في كل زمان ومكان، وقدرته على التعبير عن هموم الإنسان وتلبية حاجاته المعرفية بالغة ما بلغت من الكثرة ومن التعقد، يقول الله عز وجل: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾(سورة النحل: **89**).

والناتج مما سبق ذكره أن المعنى القرآني إنما هو محصلة الجدل القائم بين النص والإنسان والواقع، مما يحيل تعيُّنه في فترة محددة، باعتبار طبيعة الواقع المتغيرة، كما يحيل أن يمتلكه شخص بعينه، ولهذا لا نجده صلى الله عليه وسلم فسّر من القرآن إلا آيات ذوات عدد على أرجح الأقوال، أما الحكمة من ذلك فهي «أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته»(**السيوطي، 1997، صفحة 494**).

ولا يفتأ القرآن الكريم يدعو إلى هذا التفكر ويحث عليه، يقول الله عز وجل: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾(سورة ص: **29**)، ويقول: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ (سورة الزمر: **27**)، ومثل هذه الآيات دليل واضح على أن الله تعالى، إن كان قد وجهنا إلى الاعتبار بآياته وألزمنا بالعمل بمقتضاها، فإنه قد فتح لنا بابا لفهمها والوقوف على حقيقة معانيها، بالأسلوب الذي يهيء لنا القدرة على ذلك الاعتبار «لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله "اعتبرْ بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان والكلام"، إلا على معنى الأمرِ بأن يفهمه ويفقهه، ثم يَتدبَّره ويعتبر به، فأما قبل ذلك، فمستحيل أمرُه بتدبُّرِه وهو بمعناه جاهلٌ»(**الطبري، 2000، صفحة 62**).

فإذا علمنا أنه إنما نزل بلغة لها خصوصيتها المتجسدة في اختلاف علاقة أهلها بها مع سيرورة الزمان، وتلك سمة عامة في اللغات فإنها تتطور ويختلف حال أهلها في المعرفة بها؛ فإذا عُلم ذلك وعُلم معه أن لغة النص ثابتة، تقرَّرَ أن الناس تزداد حاجتهم إلى تفسيره كلما سار الزمن نحو الأمام وتوجهت المعرفة عكسه. وفي هذ المعنى يقول الإمام السيوطي: «إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بَعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر (...)، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة علىذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير»(**السيوطي، 1997، صفحة 493 ج2**).

«ويمكن أن يقول بعض أهل العصر: لا حاجة إلى التفسير والنظر في القرآن، لأن الأئمة السابقين نظروا إلى الكتاب والسنة واستنبطوا الأحكام منها، فما علينا إلا أن ننظر في كتبهم ونستغني بها، هكذا زعم بعضهم، ولو صح هذا الزعم لكان طلب التفسير عبثا يضيع الوقت به سدى، وهو على ما فيه من تعظيم لشأن الفقه، مخالف لإجماع الأمة من النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر واحد من المؤمنين»(**رشيد رضا، دون تاريخ، صفحة 19 ج1**).لأن الوقوف على ما قيل في القرآن سابقا–بغض النظر عن القائل– كأنه إشارة إلى أن القرآن ما نزل إلا لهؤلاء الذين تكلموا فيه، وهذا ما لا يقول به إلا من لا وعي له بالطبيعة المتعالية للنص القرآني الحامل لجوهر الرسالة الإسلامية الخالدة التي ختمت الرسالات، فاستحق الكتاب الذي جاء بها أن يكون ترجمان كل عصر ويقدم نفسه لأهل ذلك العصر ليقولوا فيه بما يخدم قضاياهم وما يرسم خطوات الطريق أمامهم، وهل ذلك إلا باجتهادهم فيه؟

ولعلنا نستطيع أن نلمس مثل هذا الوعي لدى فئة في التراث الإسلامي مارست تفسير النص لا لأجل الكشف عن معناه باعتباره غاية في حد ذاتها، ولكن لاستنباط الأحكام الشرعية وتفعيل الجانب العملي من النص؛ إنهم الفقهاء: «لقد كان الفقهاء على وعي دائم بحركة الواقع وتغيره في الزمان والمكان، كما كانوا على وعي بضرورة توسيع دلالات النصوص لتلائم حركة الواقع»(**أبو زيد، 2000، صفحة 24**). فلماذا إذن النهي عن الرأي في التفسير؟

وعطفا على ما قيل كله، فإن الخوض في ذم التفسير بالرأي إنما كان**أولا**: اجتنابا للتصادم مع الأحاديث التيتذم القول في القرآن بالرأي، –ومنها الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه: (من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النَّار)–فوجّهوا معنى "الرأي"المقصود بالنهي إلى «معنى إتباع الهوى والخوض في القرآن الكريم من غير عدة أو أدوات»(**بن عاشور، 1974، صفحة 27 ج1**).

أما **ثانيا** فلأن الاعتقاد بأن للأولين سلطة تتجاوز سلطتنا في فهم النص والغوص في أغواره اعتقادٌ لا يخلو من إشكال، لأنه مبني على مقولتين اثنتين، **أولاهما** معرفتهم بالعربية التي لا يمكن لأي كان أن ينكر أنها لغة القرآن، بل إن النص القرآني نفسه يشهد بهذا من داخله:﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(سورة يوسف: 2)، ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**﴾(سورة طه: 113)، ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ (سورة الزمر: 28)، ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(فصلت: 3)...

والثانية أنهم عايشوا التنزيل وعاصروا صاحب الرسالة، فهم الأدرى بملابسات الوحي وسياقه، ومثل هذه العوامل، على ما لها من الوجاهة وما يلفها من الصدق، باعتبارها إضاءات لا غنى للنص عنها، توقع في مأزق ضيق، «لأنها تنشأ عن التسليم –في مقولة اللغة– بأنها مطابقة للنص–وفي مقولة المعاصرة– بأن المعنى محدد بوقائع النزول»(**الحاج، ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وأيديولوجيا الحداثة، 2003**).

كل ذلك يفضي بنا إلى التحديد القبلي المسبق لمعنى النص، وبالتالي القضاء على صفة جوهرية فيه، هي إعداده للاستمرار في إنتاج الدلالة كما سبق ذكره، «وإذا كان التفسير يقوم على مسافة لغوية بين خطابين:الخطاب القرآني، وخطاب التفسير نفسه، فإنه لمن المحال أن يتم اختصار هذه المسافة إلى درجة أنه يمكن للتطابق أن يأخذ سبيله إليها، لأن خطاب التفسير يعد ناتجا ثقافيا لا محالة، قائما على

النسبي والممكن، وحاصلا في الأفهام على مقدار اختلافها وتفاوتها، فهو رهن بشروطنا التاريخية والزمنية، وبظروف إنسانية وذاتية بحتة، وإذا كان التفسير –باعتباره خطابا– منتجا ثقافيا تاريخيا، فأدواته بالضرورة منتج مثله (ثقافي وتاريخي).. أي إنه ممكن التجاوز، فتلك الأدوات والمناهج ليست "فوق تاريخية"؛ إنها نسبية كنسبيتنا نحن منتجي الخطاب ذاته»(**الحاج، ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وأيديولوجيا الحداثة، 2003**).

ولا يختلف اثنان في أن المغامرة في اقتحام النص من غير عدة أو ضوابط مغامرة تدل على ضيق أفق صاحبها بل وسفاهته –إن جاز استعمال هذا اللفظ– ، لأنها مغامرة تقفز على البعد الميتافيزيقي للنص، في محاولة فاشلة لمحاكمته بقوانين البشر.

غير أن مثل هذا الحكم لا ينفي –بل يثبت– ضرورة تفسير النص وإعادة تفسيره، لأن المطالبة بالحد من حقوق المفسر وضبطها لا يسلبه الحق في التفسير بقدر ما يحاول حمايته من مغامرة قد تكون غير محسوبة العواقب.

إن استقراء بسيطا لتفسيرات التابعين وحتى الصحابة، يكشف عن وجود الاختلاف بينهم، وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم كانوا يمنحون لأنفسهم الحق في الاجتهاد داخل النص من غير أن يتهم أحدهم الآخر بالخطأ، أو يصادر حقه في الفهم والتفسير، والأهم من ذلك «لم يوجد بينهم من يدعي أن فهمه هو مراد الله على التعيين»(**الزركشي، دون تاريخ، صفحة 160 ج2**)، وعلى هذا فإن جهودهم في استكشاف النص قد أصبحت بين أيدي المتأخرين تثير مشكلة عريقة وأصيلة في أدبيات علم التفسير، هي ما يسمى بحجية اجتهادات الأولين بإزاء النص القرآني، وبعبارة أخرى يطرح السؤال:هل فهوم الأولين من الصحابة والتابعين تعتبر مطابقة لمعنى النص القرآني فلا يجوز تجاوزها؟

الواقع أن فهوم الأولين**نوعان: نوع** ينسبه صاحبهإلى صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الحال نصبح بإزاء قضية أخرى هي مناقشة صحة الرواية والنظر في مشكلات المتن، فنخرج عندها مما نحن فيه من إطلاق صفة الفهم البشري عليها، باعتبار تفسيرات صاحب الرسالة تحل إشكال النص فلا يبقى مجال للاجتهاد. ونوع هو اجتهادات خاصة، وهذه تبقى فهما بشريالا يستطيع أن يحيط بالقرآن في إطلاقه، ولكنهيعرض نفسه، ثم يأتي من بعده ويضيف على الفهم الأول فهمه، ليستمر الأمر في علاقة تراكمية يستفيد فيها اللاحق من السابق، فلا يقطع معه ولا يهدر واقعه ومعارفه، لكن مع اعتبار معاصرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعايشة ظروف التنزيل، وما يضفيه هذان العاملان من قوة ووجاهة على تفسير الصحابة رضوان الله عليهم، ثم التابعين الذين تلقوا عنهم وتتلمذوا على يديهم.

وبعد، فإن السؤال الذي يجد مكانه المناسب هنا ويطرح نفسه بإلحاح هو: هل الحديث هنا عن مشروعية الخوض في النص القرآني مرة بعد مرة، واستجلاء آياته بحثا عن تفسير للذات والواقع، وذلك **باعتباره** أولا "حمَّال أوجه"–بتعبير علي ابن أبي طالب مخاطبا عبد الله ابن عباس«عندما أرسله إلى الخوارج فقال: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة»(**السيوطي، 1997، صفحة 124 ج1**)–**وباعتباره** ثانيا مُعدًّا لإنتاج الدلالة إلى نهاية الزمان، هل يمنح الحق في ذلك لكل أحد وبأي وسيلة؟مثل هذا السؤال إنما يقود إلى الحديث عن المنهج باعتباره ضرورة، وإجراء حتميا في عملية التفسير.

3.رهبة التأويل ومعضلة الباطن:

1.3دواعي الخوف من التأويل

مما يكاد يكون متفقا عليه في التفرقة بين التفسير والتأويل هو أن **التفسير** يعتمد على الروايات أما **التأويل** فهو الاستنباط(**السيوطي، 1997، صفحة 518 ج2**)، وعليه يمكن للناظر أن يلحظ بوضوح أن الفرق بين المصطلحين يكمن في فكرة **الوسيط**، فالتفسير يتوسل بالنقول لكن التأويل نوع من الاحتكاك المباشر بالنص، إنه لقاء بين الأدوات البشرية الناقصة القاصرة وبين النص الإلهي المقدس المتعالي، وهاهنا مربط الفرس، وهو ما يفسر احتياط الأولين وتحفظهم في التعامل مع القرآن الكريم، بل وما يجعلهم يعلنون الاستنفار، فيعلنون أن التعامل المباشر مع النص الإلهي قد يفضي إلى مزالق ومخاطر.

ولعله من نافلة القول الخوض في الجذور التي أنبتت الخوف من التأويل وذمه، فليس يخفى ما أثارته **الآية السابعة من سورة آل عمران** من خلاف بين العلماء، ويتعلق الأمر فيها بمسألة المتشابه الذي يقابل المحكم، أو بتعبير أبسط الغامض الذي يقابل الواضح، فالإنسان بطبيعته يسعى دائما لفك الغموض الذي يحيط به، ووسيلته في فهم المتشابه هي توجيهه الوجهة التي تلقى في ذاته قبولا، ويصبح الأمر أكثر إلحاحا عندما يمس القرآن الذي هو عصمة الأمر.

يقول الله عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾(أل عمران: 7)، ومحل الاختلاف في الآية هو تقدير وظيفة الواو من قول الله تعالى: (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) هل هي للعطف، فيكون المعنى أن الراسخين في العلم يشاركون الله عز وجل في علم تأويل القرآن الكريم، أم أنها للاستئناف، فيكون المعنى أن الراسخين في العلم يسلمون أمام المتشابه فينفرد الله عز وجل بعلمه؟

فالذينرأوا ضرورة العطف، ورفضوا صحة الوقف، وقفوا إلى جانب الأدب الرفيع والفصحى في هكذا تعابير، «فضرورة الحكمة تقضي بفتح باب العلم بكتاب الله في جميع دلائله وبيناته، لأنه نزل هدى للعالمين، أما وفيه لفيف من آيات مغلقة أبوابها في وجه الخلق أجمعينفهذا ما يتنافى وحكمته تعالى أن يدلي إلى الناس كتابا فيه من المتشابه ما لا يعلمه أحد، وإنما هي مجرد أن تقع ألعوبة في يد المشعوذين الذين في قلوبهم زيغ ليصبحوا مطلقي السراح في إضلال الناس»(**معرفة، 2006، صفحة 20 21**).

وعلى هذا كان اعتبار الواو استئنافية مؤديا إلى الحكم بإمكان نزول شيء من القرآن مع عدم القدرة على الوصول إلى معناه، ما يوحي بتطرق فكرة العبث إلى القرآن الكريم، أو بعبارة أدق ما معنى أن ينزل الله كلاما يحجب عنا القدرة على فهمه؟ ولذلك اعتُبر العطف أولى «لأن الله مدحهم بالرسوخ، ولو لم يعلموا لم يمدحهم لأنهم جهال، ولأنه لا فائدة في إنزال شيء من القرآن لا يعلم تأويله، ولا يتعبد الله عز وجل خلقه بما لا يعلمونه» (**الحميري، 1999، صفحة 360 ج1**).

ومع أن هنالك من حمل إمكان ذلك على ابتلاء ثبات البشر وتسليمهم لما أخفاه الله عنهم، غير أن هذه الحجة لم تجد لها الصدى اللائق، فانبرى من يحاول إعطاء آية **آل عمران** بعدا مغايرا ومعنى غير الذي أدى إلى الحكم بجهل البشر للمتشابه، وتفصيل ذلك يتضح في توجيه لفظة تأويل في الآية، يقول الشيخ محمد عبده (**ت: 1323 هـ**): «إنما غلط المفسرون في تفسير التأويل في الآية لأنهم جعلوه بالمعنى الاصطلاحي، وإن تفسير كلمات القرآن بالمواضعات الاصطلاحية قد كان منشأ غلط يصعب حصره»(**رشيد رضا، دون تاريخ، صفحة 172 ج3**)، والمقصود أن لفظ التأويل في القرآن لم يرد أبدا بمعناه الذي اكتسبه فيما بعد، أي مخالفة الظاهر والتعمق وراء المعني في أغواره البعيدة، وإنما تشهد المرات السبع التي ورد فيها هذا اللفظ أنه على المعنى اللغوي الخالص، وهو المآل والعاقبة(**رشيد رضا، دون تاريخ، صفحة 172 ج3**)، فقوله عز وجل: (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**) يعني لا يعرف تحقق أمره ومصيره وعاقبته إلا الله، وعليه فإن التشابه لا يحمل على العبارة في ذاتها وإنها على حقيقة محتواها، بمعنى أن «التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى هو ما تؤول إليه الآيات في الواقع، ككيفية صفات الله وكيفية عالم الغيب من الجنة والنار وما فيهما، فلا يعلم أحد كيفية قدرته وتعلقها بالإيجاد والعدم»(**رشيد رضا، دون تاريخ، صفحة 172 ج3**).

غير أن هذا كله إنما يقال على المستوى التنظيري، لأن واقع الدراسات التفسيرية يثبت خلاف ذلك، فثنائية (تفسير /تأويل) المثارة في العصور المتأخرة لم تكن مطروحة أصلا، وإنما بدأت تعرف طريقها إلى الوجود مع مراحل تدوين العلوم وتقدم الدراسات التنظيرية في علوم القرآن وظهور المدارس التفسيرية، بل يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك أي إلى اعتبار مصطلح التفسير لم يكن متداولا في الثقافة العربية –لا قبل الإسلام ولا بعد ظهوره –للدلالة على ما يعنيه اليوم، إنما عرف مصطلح التأويل، وذكر في القرآن الكريم في الكثير من المناسبات للدلالة على معنى الشرح والتفسير: ﴿**وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾(سورة يوسف: 6)، ﴿**قَالَ هَٰذَا**

فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًابَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾(سورة يونس: **39**)... وغيرها من الآيات.

أما التفسير فلم يرد له ذكر في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالى: **﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾**(سورة **الإسراء: 33**)، ولم يقصد به المعنى المتداول في الاصطلاح، وإنما معناه: «ولا يقولون قولا يعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، و أبين و أوضح وأفصح من مقالتهم» (**ابن كثير، 1999، صفحة 109 ج6**).

ومما سبق، يمكن أن ينظر للأمر على أنه تسوية بين التفسير والتأويل أو أنه تكريس لأحدهما في مقابل إقصاء الآخر، لكن المسألة بخلاف ذلك، لأن الإشكال ليس في التصنيف النظري (تفسير / تأويل)، فالمفسر يكون مؤولا حين يقرر الموازنة بين المرويات ونقدها وترجيح ما يراه الأصوب، كما أن المؤول يكون مفسرا حين يحاول أن يدعم رأيه بالحجة المروية والدليل المنقول، لكن الإشكال في الآليات التي يعتمدها أنصار كل اتجاه، هذه الآليات التي قد تتحد في نقاط وتختلف في نقاط أخرى، ولا يكون العمل مثمرا إلا إذا اتجه إلى تثمين نقاط الاتحاد ومناقشة نقاط الاختلاف، أما التصنيف القاطع والصارم للأعمال بأنها من باب التأويل، فهذا إن جاز من الناحية النظرية المنهجية فإنه لا يمكن تحقيقه بتلك الصورة في الواقع.

والملاحظ بوضوح مما سبق هو أن التأويل إنما اتجه إلى التنقيب في أعماق النص اعترافا ببعد غوره، واشتماله على معاني ليست ظاهرة على سطحه، بل هي في باطنه، فالتوصل إليها يستلزم المزيد من التحري والتسلح، وهنا تطفو قضية الظاهر والباطن، الأرضية الخصبة التي فتحت باب التأويل.

2.3 التأويل وقضية الظاهر وللباطن:

ليس من الإبعاد أو الشطط القول إن العلماء أصوليين كانوا أو متكلمين أو فلاسفة، يكادون يجمعون على أن للقرآن ظاهرا وباطنا، إلا من نفى أن يكون له باطن وهم أنصار **الظاهرية**، أو من قال بالباطن دون الظاهر، ويتعلق الأمر **بالباطنية**.فالنص القرآني وإن كان متحدا قصدا فإنه متعدد فهما وتأويلا، ولذلك يصبح السؤال مشروعا: كيف يمكن تحقيق التعددية والثراء الدلالي للنص؟ هل يكفي الظاهر؟ أم أن الباطن ضرورة؟ ثم عند أي حد يحسن الوقوف بالباطن؟ وإلى أي مدى يمكن له الإحاطة بالمعنى القرآني في اتساعه من دون أن يُهدر ظاهره؟

يقول أبو حامد الغزالي: «فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومَحَطُّه؛ بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم؛ قال علي رضي الله عنه: إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن. فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟ [...]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن. وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر»(**الغزالي، 1982، صفحة 289 ج1**).فعلى ذلك، يصير من الضروري الاعتراف بالباطن.

ولقد وُجد في تاريخ المفسرين من اعتبر القرآن باطنا كله، وغالى في ذلك، وهم الباطنية(**الذهبي، 2000، صفحة 174، 188 ج2**)، فنشأ تيار الظاهرية ليكون رد فعل مناسب لحماية القرآن الكريم من العبث(**أبو صعيليك، 2002**)، لكن كلا من هؤلاء وأولئك كانوا قلة بالنسبة إلى الغالبية من المفسرين الذين رأوا الظاهر والباطن فعاليتين متسايرتين جنبا إلى جنب في معنى النص، فالوقوف عند الظاهر وحده جمود، أما الغرق في لجة الباطن فهو عبث؛ إن هؤلاء الغالبية يرون أن الباطن دليل قدرةٍ في اللغة على التجريد والتعميم، وأنه الطاقة الكامنة في النص والتي تؤهله لمواجهة النوازل، وهو أيضا دليل على تعدد إمكانيات التفسير، وهو مفتاح القول والاختلاف، ولهذا فقد ظل جانبه مهيبا، واعتبروا أن تتبعه إن لم يكن مضبوطا فتح الباب للتخمين في تحديد المعنى، ولذلك فإن خوفهم منالباطن لم يؤدِّ بهم إلى إنكاره أو تجاهله، بقدر ما جعلهم يسعون لضبطه حفاظا على اللغة باعتبارها الأرضية الصلبة لتمثيل المعنى، ثم لانهم أحسوا أن

المفسر غير قادر على الاكتفاء بالظاهر وإن حرص على ذلك، فإنه إن فعل فقد أضاع الكثير من علم القرآن وأسراره، وإنما تُشترط لذلك الحجة، وهي ألا تخرج عن ممكنات اللغة وقواعد العقل، ولا المعلوم من القرآن والسنة بالضرورة.

ويجدر التنبيه بعد ذلك على أن الإسلام دين واضح سهل وأن القرآن الكريم جاءبلسانعربيمبين، وعلى طرائق العرب في البيان والتعبير، ليس فيه تعقيد ولا ألغاز لكنه أيضا كلام معجز وفي الدرجة العليا من الفصاحة والبلاغة، وهو بعد ذلك كتاب الدهر كله، وكتاب البشر كلهم، وهذا هو المدخل إلى الباطن؛ وإنما هي تركيبة متكاملة ومترابطة، أحسن العلماء السابقون تفهمها، وهو ما نجده واضحا فيما يعقدونه من الفصول للبت في شروط المفسر بل وآدابه، فالتعامل مع القرآن الكريم يقتضي الأدب قبل المنهج، وإذا كانت الدراسات النقدية الحديثة تجتهد للتقليل من مشاكل سوء الفهم في النصوص البشرية أفلا يكون حريا بمن يحاول فهم القرآن أن يكون أكثر وعيا وحذرا ؟ لهذا ظل العلماء يتحرزون ويتحفظون في إجازة التأويل والرخصة فيه إلى حد يبدو مبالغا فيه، فهل كان ذلك دليلا على إنكارهم له؟

3.3 حدود التأويل وأدواته:

إن الحديث عن ورع الأولين وذمهم للتأويل قد يوحي برفضهم له، لكن الإنصاف يوجب الاعتراف أن ورعهم قد حدا بهم لا نحو إبطال التأويل جملة وتفصيلا، ولكن إلى تقييده بضوابط تضمن للنص ألا تنتهك حرمته، كما تضمن للعقل بالمقابل ألا يُنتقص من شأنه، فرتبوا للخوض فيه أولويات ورسموا محطات يوقف عندها ومعالم يسترشد بها، يقول الإمام الطبري: «(القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن):(...) مما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره – واجبه وندبه وإرشاده –، وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه، التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته (...) وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار، وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى بن مريم، وما أشبه ذلك (...) وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن، وذلك: إقامة إعرابه، و معرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجهله أحد منهم»(**الطبري، 2000، صفحة 83 ج1**).

وقد تم نقل هذا النص –على طوله– للتدليل على وعي الأولين بمنهج التعامل مع النص القرآني، وفي هذا السياق يعترف بعض المستشرقين بأن «العلماء المسلمين كانوا استطاعوا بمفاهيمهم "تحريك النصوص القرآنية وإنعاشها بتفاسيرهم "إلى درجة " يصعب علينا اليوم –حتى باسم العلوم الإنسانية – أن نجد فيها شيئا آخر جديدا غير الذي وجدوه "»(الحاج، ما الحاجة إلى اللسانيات في قراءات القرآن الجديدة اليوم؟، 2007) ! لهذا فمن التسرع واللاموضوعية إصدار حكم متجاوز بشأن مناهج الأولين .

لقد أدرك الأولون أن القرآن الكريم رغم كونه نصا لغويا، إلا أنه ذو خصوصية عبروا عنها بالإعجاز، فالقرآن نص لغوي معجز، أي أنه، وإن كان من جنس اللغة التي يعرفون دقها وجلها، فإنها لا تعدو أن تكون وعاء حاملا لرسالة السماء نحو الأرض، فخليق بالتصدي لبيان المعاني التي تحملها أن يكون محكوما بمنهج أو ضوابط تضمن تكريس الوعي بطبيعته المتعالية، لقد تكلم الذين قعدوا للتفسير أولا في شخص المفسر وما ينبغي له، إذ لا يكاد يخلو مصنف في هذا الباب من فصل يعقد أو عنوان يفرد لشروط المفسر والأدوات التي عليه تحصيلها لمباشرة النص(**السيوطي، 1997، صفحة 297 ج2**)، أما **شروطه** فثلاثة:

- أولها :**سلامة العقيدة وصحة المقصد**، لأن تفسير كتاب الله كما رأوه ليس مجرد دراسة أدبية أو نقدية لنص لغوي، تتوخى مظاهر الجمال فيه وتتغيا مواطن الجدة والإبداع في معانيه، وإنما هو –بالإضافة إلى كل ذلك– وسيلة لغاية أهم هي فهمه لتدبره والعمل بما فيه، وتلك أيضا وسيلة أخرى للغاية الأسمى إنها السعادة في الدارين، فكأن الحرصَ على شخص المفسر حرصٌ

على مصير العباد .. فأي خطر في التساهل في أمره ! يقول الإمام السيوطي:«فإن من كان مغموصا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ؟ ثم لا يؤتمن في الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ؟(**السيوطي، 1997، صفحة 498 ج2**)».

- وزيادة في هذا الحرص اشترطوا ثانيا: **الاعتماد على النقل**، أي نقل المعنى عن رسول الله وصحابته، وزاد بعضهم النقلَ عن التابعين، على اعتبار هذا الطريق منبع الدين، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأنه مستقبل الوحي ومبلغ الرسالة، وهو الأعلم بما جاء فيها، فكلامه في القرآن وحي من الوحي قال الله تعالى:﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)**﴾(سورة النجم: 3، 4)، أما أصحابه فإنه قد زكاهم، كما أنهم أهل اللغة والذين عاصروا التنزيل –كما قد سلف ذكره– فالواجب النقل عنهم، وأما التابعون فقد تتلمذوا على أيدي الصحابة وأخذوا العلم عنهم، فهذه العصية من هاتيك العصا.
- وإتماما لذاك الحرص نجدهم يشترطون ثالثا: **عدم تعيين المراد على وجه القطع عند تعدد احتمالات المعنى مع انعدام المنقول**، أي أن يترك الباب مفتوحا أمام الفهوم التي يقبلها النص ولا تخالف المعلوم ضرورة من المنقول والمعقول، ولا يخفى ما في هذا الاشتراط من عدم تكريس النقل، أو بالوعي بأن النقول وإن كانت تهدي، فإنها غير كافية ولا مقبولة دائما كما سيأتي.

إن لمثل هذه الاشتراطات دلالة عميقة على الخوف الذي كان يملأ الأولين من الخوض في النص القرآني، وهل ذلك إلا ثمرة لإدراك خصوصية طبيعة النص وبالتالي خصوصية التعامل معه، إذ«الواجب على العالمين أن ألا يقولوا إلا من حيث علموا».(**الشافعي، دون تاريخ، صفحة 141 ج1**).

والحديث هنا عن القول على علم يجر البحث إلى الشق الثاني من اشتراطات الأولين، فبعد شخص المفسر ينبغي التعريج على أدواته، «وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم»(**الزركشي، دون تاريخ، صفحة 166 ج2**)، «لأنه غير جائز أن يقال في تأويل كتاب الله تعالى ذكره قول إلا بحجة واضحة»(**الطبري، 2000، صفحة 65 ج5**)، ومفهوم الحجة هنا يتضمن الخلفية المعرفية التي على المفسر أن يتسلح بها حتى لا يعد قائلا في كتاب الله بالهوى والرأي المنهي عنه.وإن قراءة متفحصة في كتب علوم القرآن تسمح بالقول إن هذه الأدوات يمكن أن تعود عند جمع المؤتلف منها إلى ثلاث، هي: علوم اللغة بكل فروعها (متن اللغة، النحو، الصرف، الاشتقاق، البلاغة وفيها المعاني والبيان والبديع)، والعلم بالمرويات، وملكة النظر والاستنباط.

وبعبارة أخرى: القرآن نص لغوي لكنه متعال، فهل تكفي اللغة للإفصاح عن معانيه؟ ربما يحتاج الأمر الرجوع في فهمه إلى المرويات، لكن الاكتفاء بها يقيد أبعاده ؟ لذلك ينبغي الاجتهاد فيه لأهل كل عصر بأدوات عصرهم، فكيف يمكن أن يستثمر القارئ /المفسر هذه الأدوات لتحقيق "وقائعية " القرآن من جهة وضمان حفظه من جهة أخرى ؟

3.3 المناهج الجديدة في تفسير القرآن الكريموسؤال الإضافة النوعية

ليس يخفى ما يشهده حقل الدراسات القرآنية من حركة غير مألوفة فيما يتعلق بإعادة تفسير القرآن الكريم والمنهج المقبول لتحقيق ذلك، والواقع أن الدراسات الإسلامية كلها تصطلي منذ مدة بنار هذا السؤال، بل وتحترق في آتونه، فالدعوات المتكررة والمتعالية إلى إعادة قراءة القرآن وفق متطلبات العصر، والصيحات المتوالية لتحرير العقل وتجديد الأدوات تدعونا ربما للوقوف بعض الوقت من أجل التساؤل: أين المشكلة؟ هل هي في المناهج والأدوات الأصيلة التي سنها أسلافنا في هذا المضمار؟ أم أنها في العبقرية الطافحة للمناهج الحداثية في قراءة النصوص وتفسيرها، بحيث يستحيل تجاهلها، والاكتفاء بما سبقها؟ أم أن القرآن باعتباره رسالة خالدة لم يعد ما قيل فيه من قبل يفي بما هو كائن الآن؟

لا جدال في أن القرآن الكريم كتابُ هداية وإصلاح، كما أن اتجاهه إلى الإنسان كل إنسان ليس محل خلاف أيضا: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(سورة سبأ: **28**)، ولذلك فهو كتاب مفتوح على الأزمان، يقرأ فيه أهل كل زمن ما يناسب واقعهم، ويبحثون بين طياته عن أجوبة أسئلتهم، فالقرآن كتاب مطلق لا تحيط به الأزمنة، أما فهومنا حوله فهي تاريخية في الجزء الأكبر منها...هذا هو قطب الرحى في مطلب إعادة التفسير.والواقع أن المطلب كان سيكون مشروعا جدا ولا غبار عليه لو أنه قصد إلى معالجة الواقع في ظل الكتاب الخالد، دون أن يصل الأمر إلى المساس بالثوابت، وزعزعة الأصول، أما والأمر كذلك فإنه يحتاج إلى وقفة وتثبت وتحر: ما الذي لم يعد الفهم الأول للقرآن قادرا على الوفاء به؟ إلى أي مدى لم يعد الإنسان هو الإنسان حتى يحتاج إلى إعادة التفسير؟ فلنلق نظرة على المناهج الجديدة في التفسير.

التفسير العلمي: كان التفسير العلمي أولى دعوات التجديد المتوجهة إلى القول في القرآن الكريم، ففي أعقاب النهضة وجد بعض العلماء المسلمين الذين لهم اهتمام في تفسير القرآن الكريم العلوم الحديثة أمامهم، وإيماناً منهم بصدق ما جاء في القرآن، وبأثر مما كان يعاني منه المسلمون من ضغوط نفسية وإعراض عن الدين الإسلامي في تلك الأيام، اجتهد هؤلاء في ربط القرآن بهذه العلوم.

لقد ظهر هذا الاتجاه جليا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن الذي يليه، في كتابات الإصلاحيين كجمال الدين الأفغانيوعبدالرحمن الكواكبي، ومحمد عبده، على اختلافٍ بينهم في درجة الاقبال على الأمر أو التحفظ فيه، على أن أشد المتحمسين للتفسير العلمي للقرآن في العصر الحديث هو طنطاوي جوهري، في كتابه المسمى: "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، الذي نوه فيه بجدوى هذا التفسير.ولقد زهد بعض من لهم اهتمام بالدراسات القرآنية بهذا التفسير العلمي للقرآن، ورأوا أن من الأسلم عدم الغوص في مثل هذا الجانب من التفسير، وإن كانوا لا يرون حرجاً في الاستشهاد بالحقائق العلمية الثابتة التي لا شبهة فيها، ولكنهم مع ذلك لا يحبذون الركون إلى مثل هذه الوسيلة، والانشغال بها عن مهمة التفسير الحقيقية، ومن هؤلاءمحمد شلتوت، وأمين الخولي، وقد تابع هؤلاء في منحاهم هذا محمد رشيد رضا، ومحمد حسين الذهبي.(**شلبي، 1985، صفحة 14 وما بعدها**)

ويمكن اعتبار التفسير العلمي للقرآن الكريم مرحلة أولى في التجديد، «تتميّز هذه المرحلة –التي امتدّت إلى أواخر السبعينيَّات من القرن الماضي– بعدّة خصائص؛فهي لم تخرُج عن مناهج التفسير التقليدية، ولهذا لم تتجاوز التأويلات "الإجرائية" التي تناولت بعض الآيات بما يتلاءم مع مقولات العصر الشائعة، حتى لو خرقت تلك التأويلات الأطر المنهجية التقليدية في التفسير. بل إننا نجد في هذه المرحلة كيف وصل التفسير إلى "مجرّد" تأمّلات تتسم بالبساطة والسذاجة أحياناً، والاجتزاء يبدو ظاهرةً واضحةً، حيث لا يتم التأويل "المعاصر" إلاّ في تلك الآيات المتعلقة بالإشكالات الفكرية المعاصرة، أو تلك التي يشتبه بها في استنطاق الاكتشافات الحديثة!ونظراً لاحتكام التفسير/ التأويل –في هذه المرحلة– إلى المناهج التقليدية في التفسير، فقد ظلَّ مصطلح التفسير مهيمناً كاسم لهذه العملية التأويلية، ولارتباطها بالعصر كان من الطبيعي أن يبرز مصطلح "التفسير العصري" أو المعاصر تعبيراً عنها»(**الحاج، ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وأيديولوجيا الحداثة، 2003**).فكأن التفسير الذي حمل اسم العصر ولبس ثوب التجديد لم يزد على أن طعَّم التفسير بالمعارف والكشوفات العلمية الحديثة، لكنه لم يكد يضيف شيئا على المستوى المنهجي.

التفسير الموضوعي:وبالموازاة مع التفسير العصري العلمي، ظهرت في منتصف القرن الماضي دعوة أخرى إلى اتباع النظرة الكلية الموضوعية في تفسير القرآن الكريم، وتزعم هذا المنهج أمين الخولي، وطبقته بعده تلميذته بنت الشاطئ، وتوالت تطبيقاته، فظهرت الكثير من نفائس القرآن التي كانت حبيسة النظرة الاجتزائية في التفسير التحليلي الرأسي السابق، ليس هذا وحسب، بل أرشد هذا المنهج إلى المزيد من الجوانب الإعجازية في القرآن الكريم، بعد أن تبنى القراءة البيانية التي تتبع حس العربية، وتراعي سياقات ورود المفردات، كما تراعي السياقات الخاصة للآيات داخل السور، وهي ملاحظ كادت تكون غائبة نوعا ما فيما سبق، ويمكن أن ومثالا

على ذلك كتاب التفسير البياني لبنت الشاطئ، «وهو الكتاب الذيتحرص فيه على أن تخلص للغة النص القرآني وتفهمه من روح العربية مستأنسة من كل لفظ وفي كل حركة ونبرة بالأسلوب القرآني نفسه محتكمة إليه وحده – عندما يعظم الخلاف– على هدي التتبع الدقيق لمعجم ألفاظه مع التدبر الواعي لدلالة سياقه والإصغاء المتأمل إلى إيحاء التعبير في البيان المعجز».(**معلومي، 1998**).

لقد أثبت هذا المنهج أن في القرآن المزيد مما يمكنه قوله، وتوالت تطبيقاته حتى صار منهجا أثيرا فيمجال التفسير، وإن كانت هناك مآخذ عليه وملاحظات، مما يجعل بعض الدارسين يعتبره «منهجا غير مكتمل الخطوات»(**الدغامين، 1995، صفحة 8**).وجدير بالذكر أن هذا المنهج وإن كان قد استوى في أربعينيات القرن الماضي، إلا أنه عرفت له إرهاصات بعيدة، فهذا «الجاحظ الذي يمثل فكر مدرسة الاعتزال وطريقة بحثها، حيث كانت تحيط القرآن بالنظرة الشاملة، وبالتقصي الجزئي لآيات القرآن وموضوعاته أول من أشار في كتاباته إلى التفسير الموضوعي»(**الدغامين، 1995، صفحة 17**). فالتفسير الموضوعي ما هو إلا تطوير وبلورة لمنهج تفسير القرآن بالقرآن الذي بدأه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ظهرت بعض بوادره مع الجاحظ كما ذُكر، ومع ابن تيمية في لفظة السنة في القرآن، واستمر ابن كثير على النهج نفسه، ولأنَّ تأسيس علم أصول التفسير لم يكن قد تم بعد، فقد بقيت هذه المناهج (على الأقل حتى ما قبل ابن تيميه) مجرّد معالم في المناهج التفسيرية لم تتبلور أو تتطور وتستثمر حتى القرن العشرين، حيث تبلور ما يسمى بـ"التفسير الموضوعي"(**الحاج، تأسيس أصول التفسير وصلته بمنظور البحث الأصولي، 2004**)».ومازال هذا المنهج الأصيل يتبلور ويستثمر وينتج، دون أن يجد اعتراضات، لكن المشكلة في المنهج لم تطرح إلا مع القراءات الحداثية.

القراءات الحداثية:تعنيالقراءة الحداثية عموماذلك الاتجاه التي تبنى أصحابهفلسفات ومناهج غربية حديثة، وحاولوا تطبيقها لتفسير القرآن الكريم، متجاوزين الأدوات التفسيرية التراثية المسطرة عند أهل الاختصاص من المفسرين، ومن أبرز أسماء هذه المدرسة الذين تعاملوا مباشرة مع الآيات القرآنية: محمد أركون، ومحمد شحرور، ونصر أبو زيد، وأبو القاسم حاج حمد، وحسن حنفي... وغيرهم.

«قد يعبر عن القراءة الحداثية للآيات القرآنية "بالقراءة الحديثة أو "القراءة المعاصرة"أو"القراءة الجديدة"، لكن الأقرب إلى مفهوم هذه القراءة بالنظر إلى مضامينها هو نسبتها إلى فلسفة الحداثة، لأن عبارة: القراءة الحديثة أو المعاصرة أو الجديدة تفيد التحديد الزمني دون الإشارة إلى أية مرجعيات فلسفية، مع العلم أنه لا ينبغي إدانة كل تعامل مع القرآن في العصر الحديث أو المعاصر لمجرد أنه حديث أو معاصر، وإلا وقعنا من حيث لا نشعر في "الحداثة المعكوسة" أو "القدامة" بحيث يكون الزمن هو معيار القيمة، ويكون الفرق الوحيد بين فلسفتنا وفلسفة الحداثة هو أن هذه الأخيرة تقدس الزمن الآني بينما نقدس الزمن الماضي»(**الناصري، 2011**).

صحيح أن الدراسات والمناهج الحديثة المتعلقة بتفسير النصوص والسعي للتقليل من سوء الفهم في التعامل معها قد راجت رواجا كبيرا، وعرفت في العقود الأخيرة تطورا مذهلا، مما يوحي بالسبق فيها وعدم القدرة على تجاوزها، وهو الأمر الذي أغرى بمحاولة تطبيقها على النص القرآني باعتباره نصا لغويا أيضا، فجاء السؤال الكبير: هل الدعوة إلى استيراد الوسائل هو إقرار بنجاعة هذه الأخيرة وقصور الأولى حتى مع العلم أن المناهج المستوردة مصممة على مقاس النص البشري، وأنها مازالت أجزاء منهج لم تتضح معالمه؟

يقول إبراهيم السكران: «إن الدعوات المحمومة لتطبيق نظريات الهرمنيوطيقاوالنقد الأدبي الغربي ونحوها في تفسير الشريعة الإسلامية، هي دعوات فيها سذاجة دعائية مفلطحة، فهذه النظريات لم يطبقها الغربيون أنفسهم في تفسير تشريعاتهم، فكيف نطبقها نحن في تفسير شريعة الله؟ بل لم تطبقها عامة الكنائس الغربية في تفسير كتابها المحرف، فكيف يراد منا أن نطبقها في تفسير كتاب الله المحفوظ؟ بل إن عامة الباحثين الغربيين أنفسهم الذين يدرسون التراث الإسلامي يرون هذه النظريات التأويلية الغربية زيا أو موضة عابرة، فكيف يوجد فينا من يستبدل علمي الدلالة: أصول الفقه وعلم البلاغة، وما فيهما من الإنتاج الجاد المتبحر والاختبار الزمني الطويل، بهذه الموضات التأويلية غير المبرهنة والتي لم تمحص مقدرتها التفسيرية تطبيقيا؟»(**السكران، 1435 هـ، صفحة 35**) من هذا السؤال ينبغي الانطلاق.

والواقع أن مصاحبة العلماء وأرباب العقول من الأولين نعمة جليلة، ومن الأمانة الاعتراف أن التحفظ على المناهج والقراءات المستوردة كان أول الأمر عن حمِيَّة مردُّها إلى الفطرة المغروسة في الأعماق والتي تظل تمنح للأولين مكانة وسلطة معرفية تتجاوز المعقول أحيانا، ومن غير معرفة أحيانا بأسباب تلك الحمِيَّة ولا بواعث تلك السلطة، الحمية التي تثور في الكثير منا إذا تعرض متعرض بالنقد أو وربما الانتقاص من شأن أساليب الأولين وعقليتهم في تناول علوم الشرع وحفظ أصوله وفروعه؛ لكن المباشرة والاطلاع والبحث تثبت جميعها أن الأمر يستحق تلك الحمية، وأن تلك السلطة الممنوحة لهم إنما هي مبنية على اعتبار الوعي الشديد بأدق تفاصيل العلوم وأعمق جزئيات البحث، ثم التحفظ الشديد في استصدار الأحكام والإدلاء بالآراء، وقبل هذا وذاك التثبت والتروي وتحري البينة، ولا يخلو الاطلاع على علم الأولين من إعجاب بالكثير من تفاصيل عقليتهم، كما أن دراسة مناهجهم وأساليبهم يقود إلى فوائد ونتائج على قدر من الأهمية، لعل من أهمها وعيهم فيما يتعلق بدراسة النصوص عامة وبدراسة النص الإلهي المقدس خاصة، فليس ما يصلح للبشري بقادر على أن يكون صالحا للإلهي بحال لاختلاف المصدر والغاية وحتى البنية اللغوية.

ولذلك بل وعلى الرغم من ذلك، فإن التجديد مشروع بل إنه ضرورة حتمية مع سيرورة الزمان إذ يثبت الواقع التاريخي أن المناهج التي اعتمدت في تفسير القرآن حتى الآن في الإطار الإسلامي إلى ما قبل المدرسة الإصلاحية وعصر النهضة نهاية القرن التاسع عشر لم تعد تنتج من التفسير إلاّ تكراراً لما قيل في القرون الستة الهجرية الأولى، وتتوقف الفروقات على نكاتٍ بلاغية ولغوية تقريباً، ولم تعد هذه التفسيرات تلبي التطلعات والتساؤلات التي يطرحها الإنسان المعاصر؛ لهذا السبب برزت الحاجة لابتكار مناهج في التفسير، فالقرآن الكريم نصٌّ يتجاوز دوماً المنهج بقدر ما يفتح للمنهج آفاقاً لقراءته، فالقول بإحاطة الإنسان بمعاني القرآن قولٌ لا يمكن الجزم به، فكل ما يحيط به الإنسان من المعرفة القرآنية سيكون إحاطة مرتبطة بحدود معارفه وتصوراته التاريخية، ففي الحين الذي نجد فيه النص لم يعد يتفسّر أكثر مما فسر به، ولم يعد يُقرأ إلاّ بما فُسّر به وقُرِئ، فإن ذلك مؤشر على نفاد طاقة المنهج؛ إذاً فالبحث عن منهج جديدٍ وتطوير المنهج في دراسة النص القرآني يمثل حاجة تاريخية ودينية معاً؛ إذ يمثل القرآن الرسالة الخاتمة للعالمين.

4. خاتمة:

أولا ينبغي الاعتراف أن هنالك الكثير من المحاولات التطبيقية الممارسة على القرآن الكريم التي تتوسل بالمناهج المعاصرة المعدة أصلا وابتداء لدراسة النصوص الأدبية البشرية، وهذه المناهج وما تنبني عليه من أفكار ونظريات، أيا كانت نظرتنا إليها أو رأينا فيها، قد استطاعت أن تقتطع لها مساحات واسعة في ميدان النقد ودراسة النصوص عامة والقرآن الكريم بشكل خاص، ولا جدوى من إدارة ظهورنا لها لأنها صارت واقعا مفروضا، فإذا نحن فعلنا ذلك فإنه منطق النعامة التي تدس رأسها في التراب بدل أن تواجه الخطر الذي يداهمها.

فالحكمة تقتضي الاطلاع على الأفكار الجديدة، والغوص في أثنائها؛ مساءلتها ومنحها الحق في عرض نفسها قبل إصدار حكم عليها بالسلب أو الإيجاب: الأحكام سلعة تباع في كل الأسواق، وبأرخص الأثمان، لكن العبرة بالأسس التي تُبنى عليها، ولعل في هذا الكلام نبرة توجس تجاه هذه النظريات وهذه الأفكار وتوجس أكبر من تطبيقها على النص القرآني ولهذا فيحق لمعترض أن يقول أليس هذا حكما مسبقا على نحو ما؟وقبل الإجابة على هذا الاعتراض ينبغي الاعتراف أن التغيير والتجديد ربما يرادفان الهدم في عقل سطحي غير متبصر، وبالتالي فهما يهددان الثوابت، ويضربانها في مقتل، ولكن التعمق والبحث والنظر الفاحص تبين أن الخطأ في تجاهل الجديد أسوأ من مجاراته، وإن كان في الأمرين معا خلل ما؛ فالحكمة تقتضي الاطلاع على الجديد قبل محاكمته ففي ذلك تحريض للفكر على مراجعة مسلماته وإعادة النظر في مواقفه التي يتبنّى ثباتَها ويصبَغُه بالقداسة.

ولا ينبغي أن تثير مناصرة المراجعة الخوفَ أو التوثُّبَ لأنها لا تستلزم خلخلة اليقين وهدمَ الثوابت بالضرورة، بل قد تجر إلى تعزيز هذا اليقين عندما يصبح ثمرة استدلال عقلي؛ فالفرق كبير بين أن تكون الثوابت والقناعات نتيجة برهنة أو أن تكون اعتناقا آليا موروثا.

وهاهنا جواب الاعتراض الوارد منذ قليل: ليس في هذا الكلام حكم بقدر ما فيه جرعة من الحيطة والحذر لازمة ولا غنى عنها لكل من يخوض بحر المعاني يتغيا كشفها متوسلا بالمناهج الجاهزة التي تنتجها معامل البشر؛ إنها بطبيعة الحال لن تعدم نصوصا بشرية تستفيد منها مهما اشتد تباين هذه النصوص وتنوعها لأن البشري لا يعدم الوسيلة لفهم البشري وإرضائه، لكن الأمر مختلف جدا عندما يتعلق الأمر بالنص الإلهي المقدس، لأنه لا مجال لمقارنة كلام الله بكلام البشر، إلا كما تُقارن ذاتُه تعالى بذوات عباده، تعالى الله عما يشركون، ولهذا فإن ما يصلح منهجا لتفسير كلامهم بصورة مطلقة ينبغي أن يُفكر ألف مرة أو يزيد قبل الإقدام على مساءلة النص القرآني به، لأن اعتباراتٍ مثل مصدر النص وتعالي لغته، وإعداده لإنتاج الدلالة باستمرار تصبح كلها اعتبارات ملزمة لا يمكن إلا أن تكون في الحسبان.

يجب الاعتراف ختاما أن المعنى كنز من كنوز الفكر البشري، ومظهر من مظاهر وجود الإنسان، ولهذا فإن البحث عنه كان وسيظل حاجة ملحة لا يمكن تجاهلها، ولا غرو إذن أن تمر رحلة البحث عنه وأدوات تحصيله بأطوار كثيرة تناسب الأطوار التي مرت بها البشرية في حياتها العقلية؛ ولذلك فإن الاطلاع على الدراسات التي تعمل على الولوج إلى عالم النص للبحث عن المعنى والوصول إليه كما أراده صاحبه من جهة، وكما يتراءى للقارئ من جهة أخرى يفتح أبوابا كثيرة للفهم ويفصح عن نتائج مهمة جدا، لعل من أهمها أنه قد يعتقد معتقد –وله الحق واعتقاده مشروع– أن تفسير النص ما هو إلا إعادة إنتاج له، وليس الفرق بين الخطابين –خطاب النص وخطاب التفسير– إلا في اللغة والصياغة، إذ الأولى لغة مبدعة أما الثانية فلغة شارحة هي أقرب إلى التعليمية، والواقع أن مثل هذا الحكم قد ينطوي على بعض الغفلة، لأنه يتجاهل أن التفسير إضاءة للنقاط المظلمة في النص, وفتح للمغلق من ألفاظه ومعانيه، في محاولة لفك شيفرته وتسهيل التواصل بينه وبين القارئ، ثم إن التفسير يفتح آفاقا للمعنى لا تتكشف لكل أحد ولا في كل زمن، بل إن إعادة التفسير داخل الزمن المتطاول تعطي الفرصة للنص ليقول المزيد في كل مرة.

ولكن مشروعية التفسير وإعادته مرتبطة ارتباطا وثيقا باستحضار المنهج، فمن غير الممكن التعويل على سلامة الفهم ولا على قيمة النتائج إذا أصبح التفسير تابعا للأهواء، خاضعا للنزعات الفردية المتباينة والمتعارضة، وذلك كما لا يخفى لأن عملية الفهم تكاد تكون عملية ذاتية محضة، بل يعترف الدارسون بأن إمكانية الموضوعية فيها ضئيلة جدا، ولهذا تحول السؤال عن إمكانية رصد قواعد ثابتة لعملية الفهم بين جميع البشر، وبالتالي قواعد ثابتة للتفسير والتأويل، ثم إمكانية قيام ذلك على قدر مخصوص من الموضوعية والدقة العلمية، تحول ذلك السؤال في دراسة النصوص إلى الأزمة الأولى التي تبحث عن حل لها قبل المغامرة في اقتحام النصوص وقبل الجرأة على ممارسة التفسير.

والخلاصة أنه إذا كان المقصود بإعادة التفسير الافتئات على الثوابت والمحكمات بما يخرجها عن أصالتها وقطعيتها، ويقلب معانيها ومقاصدها إلى تفسير رغائبي مضطرب باضطراب آراء الناس وأفكارهم، فهذا مقصد باطل ولا شك، لا يتوقف عند إلغاء النص القرآني ونورانيته فحسب، بل يتجاوز إلى إلغاء العقل الذي نعي به ونعقل ما نقرأ وما نسمع.

أما إذا كان المقصود من الأمر التجديدُ في تنزيل نصوص الوحي على المستجدات في زماننا، والتحرك الحي بكل الجزئيات والتفاصيل التي تخدم مقاصد القرآنوتعظم شعائرهوشعائر الشرع عامة، وتحمل على الوقوف عند الأمر والنهي الشرعيين، مع مراعاة تغير الزمان والمكان والحال في مسائل الاجتهاد والنظر المصلحي، فيما لم يأت بشأنه نص خاص، وتفهم فلسفته ورسالته بما يعالج هموم الإنسان الحديث، ويمكنه من ترسيخ التشريعات التي هي مراد الله من عباده، فهذا مقصد صحيح ولعله من المأمور به رعاية للنص الكريم أولا وتيسيرا وتحفيزا على التدبر والاجتهاد والسير بالإنسان إلى الأمام.

5. قائمة المراجع:

- **القرآن الكريم**: برواية حفص عن عاصم، وبخط وترقيم مصحف المدينة المنورة.

- **المؤلفات:**

- ابن تيمية تقي الدين أحمد، (دون تاريخ): مقدمة في أصول التفسير، تحقيق:محمود محمد محمود نصار، بغداد، دار التربية.
- الطبري، ابن جرير، 2000، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تحقيق: أحمد محمد شاكر، دمشق، مؤسسة الرسالة.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، ط2، 1999، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الحميري، أبو سعيد نشوان بن سعيد، 1999، شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم, تحقيق مجموعة من الباحثين, بيروت، دار الفكر المعاصر, دمشق، دار الفكر.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، 1991، إعجاز القرآن، شرح وتعليق:د. محمد عبد النعم خفاجي، بيروت، دار الجيل.
- الزركشي، بدر الدين، 1957، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار إحياء الكتب العربية.
- السيوطي، جلال الدين، 1997، الإتقان في علوم القران، قدم له وعلق عليه :محمد شريف سكر، راجعه الأستاذ مصطفى القصاص، بيروت، دار إحياء العلوم.
- الغزالي، أبو حامد، 1974، إحياء علوم الدين, بيروت، دار المعرفة.
- الشافعي، محمد بن إدريس، (دون تاريخ)، الرسالة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، (دون مكان الطبع).
- الجاحظ؟، أبو عثمان عمرو بن بحر، 1423هـ، البيان والتبيين، بيروت، مكتبة ودار الهلال.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، 1974، تفسير التحرير والتنوير، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار التونسية للنشر، تونس.
- شلبي، هند، 1985، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، تونس.
- الدغامين، زياد خليل: 1995، منهجية البحث في التفسير الموضوعي، الرياض، دار البشير.
- معرفة، محمد هادي، 2002، التأويل في مختلف المذاهب والآراء، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.
- إبراهيم، عبد الله، وأخرون، 1996، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، الدار البيضاء بيروت، المركز الثقافي العربي.
- العبيدي: عواد حسين ياسين، 2019، تفسير النصوص القانونية باتباع الحكمة التشريعية من النصوص، القاهرة، المركز العربي للنشر والتوزيع.
- أبو زيد، نصر حامد، ط5، 2000، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، بيروت والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- السكران، إبراهيم عمر، 1435هـ، التأويل الحداثي للتراث، الرياض، دار الحضارة.

- **المقالات:**

- رشواني، سامر، 2005، القراءة الجديدة للقرآن في جامعة نوتردام، مجلة التسامح، المجلد 3، العدد 11، ص ص 309-315.
- الحاج، عبد الرحمن، 2003، ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن إيديولوجيا الحداثة، مجلة التسامح، العدد 1، ص ص 193-203.
- الحاج، عبد الرحمن، 2007، ما الحاجة إلى اللسانيات في قراءات القرآن الجديدة اليوم؟جريدة الحياة اللندنية (النسخة العربية).
- الحاج، عبد الرحمن، 2004، تأسيس أصول التفسير وصلته بمنظور البحث الأصولي، مجلة إسلامية المعرفة (الفكر المعاصر حاليا)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بفرجينيا، العدد 37-38، ص ص 53-81.

- معلومي عبد المجيد، 1998، منهج الدكتورة عائشة عبد الرحمان –بنت الشاطئ– من خلال كتابها "التفسير البياني، مجلة دعوة الحق، العدد 335، مايو– يونيو.
- ثامر، فاضل، 1988، من سلطة النص إلى سلطة القراءة، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع 49/48.
- الناصري، فاطمة الزهراء ، 2011، القراءة الحداثية للنص القرآني دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف، ندوة دولية بعنوان الحداثة والهوية الثقافية أي علاقة؟، الكلية المتعددة الاختصاصات جامعة محمد الأول، ناظور المملكة المغربية.